الفصل السابع

خصائص التربية الإسلامية

أولاً : التربية الإسلامية تربية سامية

ثانيا : التربية الإسلامية تربية شاملة

ثالثاً : التربية الإسلامية تربية متكاملة

رابعاً : التربية الإسلامية تربية واقعية

خامساً : التربية الإسلامية تربية مستمرة

سادساً : التربية الإسلامية تربية متوازنة

سابعاً : التربية الإسلامية تربية متطورة ونامية (وصالحة لكل زمان)

ثامناً : التربية الإسلامية تربية إنسانية وعالمية (وصالحة لكل مكان)

الفصل السابع
خصائص التربية الإسلامية

للتربية الإسلامية عديد من الخصائص، التى تخصها وتميزها - فى الوقت نفسه - عن بقية أنواع التربيات الأخرى، تلك الخصائص التى يمكن تقديم أبرزها على النحو التالى:

(أولاً) التربية الإسلامية تربية سامية:

سامية فى مصدرها، وفى وسائلها، وفى غايتها وأهدافها. فمصدرها الأساسى - الذى ينبثق منه وتدور حوله المصادر الأخرى - هو القرآن الكريم. هو قول الحق تبارك وتعالى، المنزه عن الهوى والغرض والظلم والجور. ومصدرها الأساسى هذا، ليس بفكر وضعى قاصر، وليس بديانة أصابها التحريف والتغيير والمسخ والتشويه. ومصدر التربية الإسلامية الأساسى هو قول الحق، وهو المحفوظ من قبله سبحانه وتعالى، حيث قال وقوله الحق:

﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[الحجرات: ٩].

فكان ذلك المصدر ولازال وسيظل صافياً ونزيهاً.

وهى تربية سامية فى غايتها وأهدافها. بتحقيق عبودية الإنسان لله وحده، «وتحرره من العبودية لغير الله». فتحقق بذلك سعادة الإنسان المسلم فى الدنيا والآخرة، وتحقق بالتبعية سعادة المجتمع المسلم[1]. فيتحقق الخير والسعادة للجميع، أفراد ومجتمعات، حيث إنها منزهة عن الهوى والغرض، أو الميل

لصالح الحاكم أو الطبقة الحاكمة، أو لأى اعتبارات عنصرية.

فانظر لسمو تلك التربية ونزاهتها، التى انتهجها المصطفى ﷺ مع صحابته، فى أحد مواقفها؛ حيث روى «أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت. فقالوا: من يكلم فيها رسول الله؟ فكلمة أسامة، فقال رسول الله:

«إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه. وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. وأيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»(٢).

وهى تربية سامية فى طرقها ووسائلها. ولا تتم إلا بالطرق الصحيحة وبالوسائل المشروعة. فلا يغذى الإنسان إلا بالغذاء الحلال ومن الرزق الحلال. ولا تشبع رغباته الجنسية إلا بالطريق المشروع. ولاينمى أى من جوانب شخصية الفرد إلا بالوسائل المشروعة. وما يصدق على تنمية جوانب شخصية الفرد، يصدق كذلك على جوانب شخصية المجتمع. فلا ينمى الجانب الاقتصادى فى المجتمع بالغش والسلب والنهب والربا والتطفيف فى الكيل والميزان.. ولا ينمى الجانب السياسى بعيداً عن النزاهة والعدل والشورى وتكافؤ الفرص.. ولاينمى الجانب الفنى والحضارى باللهو والعبث وبالخلاعة والمجون، ولا بالتسيب والانحلال، ولا بالفوضى والغوغائية، ولا بالتسلق على أكتاف الآخرين، وابتزاز أموالهم وثرواتهم... إلى غير ذلك من جوانب فى شخصية المجتمع لا تتم تنميتها إلا بالطرق والوسائل المشروعة.

(ثانيا) التربية الإسلامية تربية شاملة:

فتتسع التربية الإسلامية لتشمل كل جوانب شخصية الإنسان وحياته، وكل علاقاته، مع نفسه ومع الآخرين. وتتسع فى اهتمامها بالمجتمع فتشمل كافة جوانب شخصيته والحياة فيه، بل وعلاقاته بالمجتمعات الأخرى، وبالتالى تتسع فى اهتمامها بالحضارة بأبعادها وجوانبها المختلفة.

فهى شاملة فى اهتمامها بجميع جوانب شخصية الإنسان: جسمياً وعقلياً

واعتقادياً وروحياً وأخلاقياً واجتماعياً ونفسياً وإرادياً وجنسياً وجمالياً[٣]. وشاملة في اهتمامها بإعداد الفرد ليكون إنساناً صالحاً في دنياه، وفائزاً بأخراه. وهي شاملة في إعداده مادياً وروحياً، وفي إعداده ليكون منسجماً ومتكيفاً مع نفسه ونافعاً لها، وليكون منسجماً ومتكيفاً مع الآخرين ونافعاً لهم، وليكون عابداً لله ونائلاً لرضاه.

وهي شاملة في اهتمامها بجميع جوانب شخصية المجتمع: دينياً وخلقياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعسكرياً وعلمياً وحضارياً[٤]. وشاملة في اهتمامها بتنمية المجتمع مادياً ومعنوياً، وفي اهتمامها بتنميته ليعود بالخير والازدهار عليه وعلى أفراده، وعلى المجتمعات الأخرى والإنسانية.

وهي شاملة في اهتمامها ببناء خير حضارة، ومن جميع جوانبها المادية والمعنوية[٥]. تلك الحضارة التي تشمل بنفعها وخيرها كل البشرية.

(ثالثاً) التربية الاسلامية تربية متكاملة:

فتهتم بتنمية الفرد ككل ومتكامل من جميع جوانب شخصيته، ولا تتعامل مع أي من تلك الجوانب بمعزل عن بقية الجوانب. كما تهتم بتنمية المجتمع ككل ومتكامل من جميع جوانب شخصيته.

ففي اهتمام التربية الإسلامية بتنمية الجانب الجسمي - مثلاً - من شخصية الفرد، اهتمام بتنمية بقية الجوانب من الشخصية؛ إذ فيها اهتمام بالجانب العقلي؛ لأن العقل السليم في الجسم السليم.. واهتمام بالجانب الاجتماعي، إذ سلامة الجسم وصحته مما يمكن الفرد من خدمة الآخرين وتكوين علاقات اجتماعية قوية معهم.. واهتمام بالجانب الإرادي، وبغيره من بقية الجوانب. وتعود هذه الجوانب لتساهم بدورها في تنمية الجانب الجسمي وغير الجسمي. فالعقل السليم يمكن صاحبه من التعامل مع الآخرين وفق معايير اجتماعية مقبولة، فينمو بذلك نمواً اجتماعياً. والعقل السليم يضبط تصرفات صاحبه من أن يضعف إرادياً، أو أن ينحرف جنسياً، أو أن يلحق الضرر بجسمه وبصحته.

كما توفر سلامة العقل ورجاحته جواً للإلمام بتعاليم الدين، وجواً للتبصر والتدبر فى ملكوت الله وفى دقة صنعته، بما يعود بتنمية للجانب الاعتقادى، وبسموٍ للروح ونموٍ للجانب الروحى، وبتقوية للصلة بالخالق. وتسعى التربية الإسلامية دوماً إلى ربط العلم بالإيمان وتنمية العقيدة بتنمية العقل. فبقدر اهتمامها بدراسة الحقائق العلمية، تهتم بدراسة أهمية هذه الحقائق وضرورتها للحياة ودلالتها على عظمة الخالق ودقة صنعته. وهكذا الحال فى بقية الجوانب بالشخصية، التى تؤثر وتتأثر، وتتكامل معاً فى بناء تلك الشخصية.

وانظر - مثلاً - لتحريم ديننا الإسلامى لتعاطى الخمور وما فى حكمها من مسكرات ومخدرات. لتجد فيه تربية وحماية شاملة ومتكاملة - فى الوقت نفسه- لمختلف جوانب الشخصية؛ إذ فى تعاطى الخمور والمخدرات هدم للصحة وتحطيم للجسم، وتدمير للعقل، ومعصية للخالق وخراب للعلاقة معه والصلة به، وانحراف وبعد عن القيم والفضيلة، وانهيار للعلاقات الاجتماعية مع الآخرين. وفى تعاطى الخمور والمخدرات هدم للسعادة وتحطيم للصحة النفسية، وسلب للإرادة، وانحدار فى مستنقع الانحرافات الجنسية. وفى تعاطى الخمور والمخدرات فقد للذة الحياة المشروعة ومتعتها، وتخلٍ عن معايير الذوق والجمال فيها.

أضف إلى ذلك آثار المخدرات السلبية على كيان المجتمع وشخصيته... كانحدار أخلاقياته، وانحلال قيمه، وتفكك أواصره الاجتماعية، وانعدام أمنه واستقراره، وانهيار اقتصاده، إلى غير ذلك من سلبيات، حرص الدين الإسلامى على وقاية المجتمع منها بتحريمه للمخدرات بكل أنواعها.

والتربية الإسلامية عندما تتعامل مع المجتمع، فإنما تتعامل معه ككل متكامل، لا انفصال فيه بين العلم والدين، ولا بين الفن والأخلاق، أو الدين والسياسة، أو الدين والاقتصاد... إلخ. وتتعامل مع هذه الجوانب كأعضاء فى جسد واحد، يؤثر كل منها فى بقية الأعضاء ويتأثر بها فى الوقت نفسه.

كما نجد ذلك التكامل فى التربية الإسلامية «بين الوسائل والأهداف، وبين النظرية والتطبيق، وبين العلم والعمل». كما نجده «بين مؤسسات التربية النظامية وغير النظامية؛ إذ هى لاتقتصر على مكان دون مكان، فهى تتم فى أى مكان، فى الشارع، وفى النادى، وفى العمل، وفى المسجد، وفى المدرسة»[٦]، وفى المنزل، وفى أى مكان يوجد فيه الإنسان.

(رابعاً) التربية الإسلامية تربية واقعية:

فهى واقعية فى تنميتها للفرد، وواقعية فى تنميتها للمجتمع، وواقعية فى قيامها على العلم والمعرفة وبعيداً عن الخرافة والسذاجة.

فلم تقل التربية الإسلامية بجملة من المبادئ التربوية الخيالية التى يصعب أو يستحيل تطبيقها وتنفيذها على الواقع. وإنما قالت بما يكفل البناء الحقيقى للشخصية وعلى الواقع. فانظر لاهتمامها بالجانب الجسمى لترى حرصها على ضرورة التغذى بالطيبات وعدم تناول الخبائث والأغذية الفاسدة التى تجلب الضرر والأمراض وتلقى بالصحة للتهلكة، وما قالته من ضرورة الوقاية والعلاج من الأمراض. . . وانظر لاهتمامها بالجانب العقلى، لترى حرصها على ضرورة تغذية العقل بالغذاء المادى والمعنوى الطيبين. وما قالته من ضرورة إعمال العقل وتدريبه على التفكير السليم، وبعيداً عن الخرافة والسذاجة، وما قالته من ضرورة تجنيب العقل من كل مسكر ومخدر، ومن كل ما يشوش نظامه أو يتلفه. . وانظر لاهتمامها بمختلف جوانب شخصية الفرد؛ لترى ما قالته بشأن تنمية تلك الجوانب تنمية واقعية.

كما قالت التربية الإسلامية بما يكفل البناء الحقيقى للمجتمع وعلى الواقع. حيث قالت بما يبنى اقتصاد المجتمع بناءً سليماً وواقعياً، بناءً يقوم على العمل وزيادة الإنتاج، والسعى فى الأرض طلباً للرزق وعملاً على إعمارها. كما قالت- فى الوقت نفسه - بالبعد عن التكاسل والتسول، وبتحريم الغش والسرقة والتطفيف فى الكيل والميزان والربا وأكل أموال الناس بالباطل. . . وحيث قالت

بما يبنى المجتمع بناءً اجتماعياً سليماً وواقعياً، بناءً يقوم على التعاون والتضامن والتماسك والتكافل الاجتماعى، وبعيداً عن الكذب والنفاق والغيبة والنميمة وغير ذلك من الأمراض الاجتماعية، التى تفت من عضد المجتمع وتماسكه.. وحيث قالت بما يبنى المجتمع بمختلف جوانب شخصيته بناءً واقعياً.

والتربية الإسلامية تربية واقعية فى قيامها على العلم والمعرفة، وبعيداً عن الخرافة والتخمينات الساذجة التى لاتستند إلى أساس علمى - أى هى (تربية علمية)؛ فالإسلام قد حث الناس على أن يعملوا عقولهم وأن يتفكروا ويتدبروا فى عظيم صنع الله. فذلك الحق تبارك وتعالى كلما ذكر بعضاً من آياته فى مخلوقاته، قرنها بضرورة التفكر والتدبر فيها. كقوله سبحانه:

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[البقرة: ٢١٩].

وقوله:

﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾[الروم: ٨].

وقوله:

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الجاثية: ١٣].

وذلك قول الرسول الكريم:

«لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أكثر من العقل... ولا عبادة كالتفكر»[٧].

وقوله ﷺ:

«تفكر ساعة خير من عبادة سنة - وفى لفظ ستين سنة»[٨].. إلى غير ذلك من آيات وأحاديث تحث على التفكر والتدبر فى مخلوقات الله. «لأن التدبر فى ذلك كله يكشف عن عظمة الله وقدرته»، من جهة، و «يفيد الإنسان فى حياته، فيكشف الكثير من الأمور والاختراعات التى تستفيد منها الإنسانية»[٩]، من جهة ثانية.

كما حذر الإسلام من أن يتصرف الإنسان عن جهل، حيث قال الحق تبارك وتعالى:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

ومن دروس التربية العلمية فى هذا المجال، والتي تحارب الخرافة والتفكير الخرافى، موقف الرسول من أصحابه يوم وفاة ابنه إبراهيم. «فقد حدث أن كسفت الشمس فى ذلك اليوم. فقرن أصحابه بين الوفاة والكسوف، وأخذوا يتحدثون عن ذلك. فما كان من الرسول صلوات الله عليه إلا أن وضح لهم أن الشمس لاتكسف لموت أحد ولا لحياة أحد... وهكذا كان ﷺ حريصاً على أن يبعد أصحابه عن الخرافات والترهات والسخافات، وعلى أن يكونوا واقعيين علميين فى نظرتهم إلى الحياة والكون»[١٠].

(خامساً) التربية الإسلامية تربية مستمرة:

فهى تربية مستمرة باستمرار حياة الإنسان. و «لاتنتهى بفترة زمنية معينة، ولا بمرحلة دراسية محددة. وإنما تمتد على طوال حياة الإنسان كلها. فهى تربية من المهد إلى اللحد، وهى تربية متجددة باستمرار تنمى شخصية الفرد وتثرى إنسانيته، كما أنها تأخذ به إلى الأمام فى طريق النمو والتقدم المستمرين»[١١].

بل هى تربية تسبق فى اهتمامها بالفرد، وجوده بالمهد، وتستمر معه حتى وفاته. حيث حرصها على أن تتهيأ له - قبل أن يصبح جنيناً - البيئة المناسبة للإنبات وللنمو السليم. وذلك بتأكيدها على التخير للنطف، لأن العرق دساس، ولأن الوراثة يمكن أن تنقل أمراضاً من جيل الآباء إلى جيل الأبناء. وتستمر فى اهتمامها به حال وجوده جنيناً فى بطن أمه، وبعد ولادته، ورضيعاً، وطفلاً، ومراهقاً، وشاباً، وكهلاً، وحتى آخر حياته.

ولم يكتف الإسلام بالحث على طلب العلم، بل أمر بالاستمرار فى طلبه

وحيثما كان. وجعل ذلك بمثابة الفريضة الواجبة على كل مسلم. فقال رسول الله ﷺ:

«طلب العلم فريضة على كل مسلم»(١٢).

وقال الحق تبارك وتعالى مؤكداً على الاستزادة من العلم:

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[طه: ١١٤].

وقال:

﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[الإسراء: ٨٥].

وانطلاقاً من توجيهات الإسلام، استمر المسلمون الأوائل فى طلب العلم النافع وتحصيله من شتى الأماكن، وفى مختلف فروع العلم والمعرفة. فنبغوا وتفوقوا، وقدموا للإنسانية حضارة، من أعظم الحضارات، وهى الأساس للشق الإيجابى لما تعيشه البشرية اليوم من حضارة.

وانطلاقًا من توجيهات الإسلام يتحتم على المسلمين اليوم الاستمرار فى طلب العلم النافع، من شتى الأماكن، وفى مختلف فروع العلم والمعرفة. «فالإنسان يظل فى حاجة إلى العلم والمعرفة مادام على قيد الحياة. ومن الواضح أن معطيات العلم فى تجدد دائم، وأن على الإنسان كى يواكب روح العصر أن يجدد نفسه دائماً. فالحقائق العلمية فى تزايد مستمر، وأساليب المعرفة وطرائقها فى تبدل دائم. فإذا تقوقع المرء على معرفته، وحبس نفسه ضمن دائرة معينة من غير أن يواكب ما يجرى فى العالم من تجارب علمية ومعطيات جديدة، فإن أفقه يضيق ونظرته تكون عاجزة عن التكيف مع الحياة الجديدة المتغيرة»(١٣).

(سادساً) التربية الإسلامية تربية متوازنة:

فهى متوازنة فى تنميتها لجوانب شخصية الفرد، بحيث لايغفل جانب أو يهتم بجانب على حساب بقية الجوانب.

فلا ينمى الفرد مادياً وحسب، كما لا ينمى روحياً فقط. وإنما ينمى مادياً وروحياً وفى توازن دقيق بينهما. وبالتالى لاينمى لحياته الدنيوية وحدها، ولايعد لآخرته على حساب دنياه. وإنما هي تربية «توخت الاعتدال فى الحياة. فدعت إلى أن يتمتع الإنسان فى هذه الحياة الدنيا، ولكن فى الوقت نفسه عليه أن ينجز الواجبات المترتبة عليه إزاء ربه»، فيعبده حق العبادة.

وليست العبادة الحقة فى أن يقف المرء نفسه عليها دون غيرها، وأن يترك أعماله الدنيوية، وليس من الإيمان فى شىء أن يتوجه الإنسان نحو أعماله الدنيوية ناسياً ما يتوجب عليه إزاء خالقه من تعبد. وعلى الرغم من نظرة الإسلام إلى أن الحياة الدنيا إنما هى مرحلة لحياة ثانية، فقد دعا إلى أن يتمتع الإنسان فى حياته، وألا يعمد إلى قهر نفسه. وقد أبان المصطفى ﷺ وبشكل جلى أنه ليس خيرنا من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا. ولكن خيرنا من أخذ من هذه وهذه[١٤]. كما أكد المولى سبحانه وتعالى على ذلك فى قوله:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾[القصص: ٧٧].

فالتربية الإسلامية تربية تنشد الاعتدال والتوازن بين المادة والروح بين الدنيا والآخرة. وفى مثل ذلك يقول الشاعر[١٥]:

ليس التعبد أن تبيت على الطوى ... وتروح فى خرق من الأثواب
لكنه إنقاذ نفس معذّب ... من ربقة الآلام والأوصاب
ليس التعبد عزلة وتنسكاً ... فى السهل أو فى القفر أو فى الغاب
لكنه ضبط الهوى فى عالم ... فيه الغواية جمة الأسباب
وحبائل الشيطان فى جنباته ... والمال فيه أعظم الأرباب
هذا هو الرأى الصواب وغيره ... مهما حلا للناس غير صواب

وهى تربية متوازنة فى بنائها لجوانب شخصية المجتمع[١٦]، المادية والروحية. بحيث لايكون مجتمعاً مادياً يعبد المادة ويقدس التقدم المادى، ولا يكون مجتمعاً متخلفاً مادياً وحضارياً ومتفرغاً للروحانيات وحدها. إنما هو مجتمع ينمى مادياً: زراعياً وصناعياً وتجارياً ومعمارياً وعسكرياً.. إلخ، ويبنى أيضاً اعتقادياً وتعبدياً وخلقياً واجتماعياً وإنسانياً... إلى غير ذلك من جوانب معنوية أو مادية، أو معنوية مادية فى آن واحد.

ثم هى تربية متوازنة فى اهتمامها بالفرد والمجتمع معاً. فالفرد «عضو اجتماعى، ولا وجود له بنفسه. فهو يعيش فى المجتمع وللمجتمع وبالمجتمع. كما أن المجتمع لا وجود له إلا فى داخل الأفراد الذين يكونونه. والمجتمع كالجسم، فلكى يحيا الجسم لابد أن تنمو أعضاؤه كلها، وأن تؤدى وظائفها بكل دقة ونظام. ولابد لبقاء المجتمع من أن يؤدى كلٌّ عمله، ويقوم بوظيفته فى اتساق وانتظام مع بقية أفراد المجتمع. فإذا عرف كل فرد فى المجتمع دوره وواجباته ومسئولياته نحو الآخرين نهض المجتمع. أما إذا تهاون كل فرد فى واجباته وأغفل مسئولياته أدى ذلك إلى انهيار البنية الاجتماعية»[١٧].

فأعطت التربية الإسلامية للفرد قيمة إنسانية، وأعطته الحرية فى ممارسة حقوقه الطبيعية، ولكن فى إطار الأخلاق الفاضلة دون الإخلال بواجباته تجاه الآخرين: فى الأسرة، وفى المجتمع الذى يعيش فيه، بل وتجاه الآخرين فى الأمة الإسلامية، وفى المجتمع الإنسانى بكامله. كما جعلته مسئولاً عن تصرفاته أمام الله سبحانه وتعالى:

﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[الإسراء: ١٣-١٥].

كما وزع الرسول ﷺ المسئولية على كل فرد بالمجتمع، حيث قال: «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته...»[١٨]. فلم يعف أحداً من المسئولية عن حماية المجتمع والعمل على تقدمه ورقيه وازدهاره. ويعود ذلك لينعكس على أفراد المجتمع بالسعادة والتنعم.

(سابعاً) التربية الإسلامية تربية متطورة ونامية (وصالحة لكل زمان):

فهى ليست بجامدة فى قالب ثابت، أو لفترة زمنية محددة، أو «لجيل دون ما يستقبل من أجيال»[١٩]. وليست مرنة بغير حدود؛ لأن المرونة والانفتاح بغير حدود، يؤدى إلى مسخ الشخصية الإسلامية»[٢٠]. فهى صالحة لكل زمان منذ أن أعلن النبى ﷺ دعوة ربه إلى أن يرث الأرض ومن عليها. وهى ثابتة ومرنة بما يجعلها متطورة ونامية وصالحة لكل زمان. فهى ثابتة فى «قواعدها الأساسية، فيما يجب أن يخلد ويبقى، فى إطارها العام. ثم أن هناك أموراً متغيرة، تتغير تبعاً لظروف المجتمع، مما يجعل هناك ضرورة لوجود مرونة كافية، لمواجهة مثل هذه الأحوال.

ويتمثل الثبات فيما أتى به القرآن الكريم من أهداف عامة للتربية، ومجالاتها العامة، رغم مرونتها، حيث يمكن الزيادة عليها. وكذلك محتويات المجالات، مما نص عليه القرآن وأوضحته السنة. فأمهات الفضائل الإسلامية فى الأخلاق، تلتزم بها التربية الأخلاقية، والقواعد القطعية فى تنظيم المجتمع أيضا لايجوز التبديل فيها أو تعليم غيرها.. أما الحركة والمرونة فتتمثل فى المصادر الاجتهادية، وهى ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له، زماناً ومكاناً وحالاً.

وبهذه الميزة يمكن للتربية الإسلامية أن تعيش وترتقى، ثابتة على أصول وقيم وغايات، متطورة فى معارفها وأساليبها وأدوات بحثها فى سبيل إنتاج أرقى وأسرع»... والتطور والنمو الذى تمتاز به تلك التربية «يخضعان دوماً للقيم الإنسانية الثابتة فى القرآن. ومعنى هذا أن الانفتاح على ثقافات العالم، ونظمه التربوية، وحضارات العالم، وأخذ الجيد منها، مما يمكن أن ينفع فى النظام

التربوى الإسلامى، بحيث لايتعارض مع الثوابت - لمن الواجبات, التى يجب أن تأخذ بها تلك التربية»[٢١].

(ثامناً) التربية الإسلامية تربية إنسانية وعالمية (وصالحة لكل مكان):

فهى تربية لكل البشرية، وصالحة لكل بقعة من بقاع العالم. وعندما تعد، فإنما تعد (الإنسان) الصالح، وليس المواطن الصالح - الذى قد ينحصر صلاحه فى نطاق موطنه المحدود. وذلك لأن الدين الإسلامى دين للبشرية جميعاً. وفى تأكيده على وحدة الخلق والمنشأ لكل الجنس البشرى، تأكيد على عالميته، ومن ثم عالمية التربية الإسلامية. فقال سبحانه وتعالى مخاطباً كافة البشرية:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[الحجرات: ١٣].

كما قال رسوله الكريم ﷺ:

«كلكم بنو آدم، وآدم خلق من تراب»[٢٢]. وفى رواية:

«الناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب»[٢٣].

والتربية الإسلامية تربية إنسانية وعالمية لأنها ترفض التفرقة العنصرية، وعند تربيتها للفرد لا تربية ليكون مميزاً على غيره، اللهم إلا إذا كان تميزه بالعمل الصالح، الذى يعود عليه وعلى الآخرين بالخير والنماء. وعند تربيتها وتنميتها للجماعة وللمجتمع وللعالم، لا تربيهم ليكون فريق منهم مستعبداً لفريق. بل الكل متحاب ومتآخ ومتكاتف ومتكافل، والكل متعاون على البر والتقوى وعلى الخير والصلاح.

والتربية الإسلامية تربية إنسانية وعالمية لأنها تخلو من الاحتكار العلمى الذى يمكن أن نراه فى التربيات الأخرى، فتهتم بتقديم العلم وثماره لكل من يطلبه ويحتاجه - وهى فى الوقت نفسه تحث الجميع على طلبه - بغض النظر عن اعتبارات الجنس أو اللون أو الدين... إلخ. فذلك رسول الله ومعلم البشرية يحذر من كتمان العلم بقوله:

«منُ سئل عن علم فكتمه، ألجم يوم القيامة بلجام من نار»[٢٤].

وفى رواية:

«ما من رجل يحفظ علماً فيكتمه، إلا أُتى به يوم القيامة ملجماً بلجام من النار»[٢٥].

ولذلك كانت هذه الخاصية، المميزة للتربية الإسلامية، سبباً فى انتقال الحضارة الإسلامية فى عصورها الذهبية، وبشتى علومها، إلى أوربا فى عصورها المظلمة، عن طريق الأندلس الإسلامية، يوم أن كانت منارة للعلوم والحضارة الإسلامية.

هوامش الفصل السابع

(١) على خليل أبو العينين: **فلسفة التربية فى القرآن الكريم** - القاهرة - دار الفكر العربى - ١٩٨٠، ص ٣٠٠-٣٠١.

(٢) الإمام النووى: **رياض الصالحين** - بيروت - دار العلم للملايين - ١٩٧٣، ص ٤٣٠.

(٣) ارجع إلى تفصيل ذلك بالفصل الثالث من الكتاب.

(٤) ارجع إلى تفصيل ذلك بالفصل الرابع من الكتاب.

(٥) ارجع إلى تفصيل ذلك بالفصل الخامس من الكتاب.

(٦) على خليل أبو العينين: مرجع سابق، ص ٢٩٨.

(٧) الحافظ إسماعيل العجلونى: **كشف الخفاء ومزيل الألباس** - جـ٢ - تعليق: أحمد القلاش - بيروت - مؤسسة الرسالة - ط٤ - ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م - حديث ٣٠٣٨، ص ٤٨١.

(٨) الحافظ اسماعيل العجلونى: **كشف الخفاء ومزيل الألباس** - جـ١ - تعليق: أحمد القلاش - بيروت - مؤسسة الرسالة - ط٤ - ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م - حديث ١٠٠٤، ص ٣٧٠.

(٩) محمود أحمد السيد: **معجزة الإسلام التربوية** - الكويت - دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع - ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص ٩٢.

(١٠) المرجع السابق، ص ٩٣-٩٤.

(١١) محمد منير مرسى: **التربية الإسلامية أصولها وتطورها فى البلاد العربية** - القاهرة - عالم الكتب - ١٩٨٢، ص ٦٨.

(١٢) ابن ماجة: **صحيح سنن ابن ماجة** - مرجع سابق، حديث ١٨٣، ص ٤٤.

(١٣) محمود أحمد السيد: مرجع سابق، ص ٥٢.

(١٤) المرجع السابق، ص ٣٦-٣٧.

(١٥) المرجع السابق، ص ٣٧-٣٨.

(١٦) ارجع إلى تفصيل ذلك بالفصل الرابع من الكتاب.

(١٧) محمود أحمد السيد: مرجع سابق، ص ١٤٦-١٤٧.

(١٨) الإمام النووى: **رياض الصالحين** - تحقيق : محمد ناصر الدين الألبانى - بيروت - المكتب الإسلامى - ط٣ - ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٢٧١.

(١٩) محمد رأفت سعيد: **الرسول المعلم ومنهجه فى التعليم** - الرياض - دار الهدى للنشر والتوزيع - ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٨٩.

(٢٠) على خليل أبو العينين: مرجع سابق، ص ٣٠١.

(٢١) المرجع السابق، ص ٣٠٠-٣٠١.

(٢٢) محمد ناصر الدين الألبانى: **صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)** -جـ٢ - بيروت - المكتب الإسلامى - ط٢ - ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م - حديث ٤٥٦٨، ص ٨٣٨.

(٢٣) أبو داود : **سنن أبى داود** - مراجعة وضبط وتعليق: محمد محيى الدين عبد الحميد - د.ت - حديث ٥١١٦، ص ٣٣١.

(٢٤) الترمذى: **سنن الترمذى (الجامع الصحيح)** - جـ٢ - تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض - القاهرة - مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى - ط٥ - ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص ٢٩.

(٢٥) ابن ماجة: **صحيح سنن ابن ماجة**: مرجع سابق - حديث ٢١٠، ص ٤٩.